تسفي) (المواجهة الخامسة مع العلمانية في الغرب): بينما كانت اليهودية متخندقة في الغيتو، تدفع عن نفسها هجمات المسيحيين، كان المجتمع الاوروبي آخذاً في التطور السريع؛ وهو تطور لم يشارك فيه أعضاء الجماعات اليهودية في الغرب. ومع ظهور الدولة القومية، التي طالبت بفصل الولاء القومي عن الانتماء الديني، وجد اعضاء الجماعات اليهودية انفسهم، في العصر الحديث، غير مهيئين، على الاطلاق، لانجاز هذه العملية. ويمكن القول، ان المرحلة الحديثة بدأت في هولندا، في القرن السابع عشر، في امستردام، ثم في فرنسا والمانيا في القرن الثامن عشر، ومعظم بلاد أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر، وفي البلاد العربية والاسلامية في القرن العشرين. وقد تسبب هذا الوضع في ظهور ازمة هويّة عميقة، وأخذت ردود الفعل أشكالاً كثيرة.

١ ـ حركة التنوير اليهودية وظهور اليهودية الاصلاحية (أواخر القرن الثامن عشر) : تعد حركة التنوير واليهودية الاصلاحية احدى الاستجابات اليهودية للعصر الحديث. وهي استجابة تتقبل معطيات هذا العصر، وتنطلق منه، وتحاول فصل الدين لا عن الدولة الحاكمة وحسب، وانما عن الجماعة الاثنية تماماً، بحيث يصبح اليهودي يهودياً في منزله، مواطناً في الشارع.

٢ ـ الحركات الارثوذكسية والمحافظة (في أوائل القرن التاسع عشر): لم تكن كل قطاعات اليهود راغبة، أو قادرة على دخول العصر الحديث. ولذا، انخرطت أعداد كبيرة منها في حركات دينية، هي، في جوهرها، رد فعل للعصر الحديث يأخذ شكل الامساك بتلابيب الصيغة الدينية / القومية التقليدية، مثل الحسيدية (التي بعثت التراث الصوفي) واليهودية الارثوذكسية، والمحافظة، والتجديدية. ولا تزال الفرق اليهودية، كلها، مختلفة بخصوص امور شعائرية وعقائدية عديدة، وتبلورت الخلافات في موقفها من الشريعة، وهل هي ملزمة لليهودي في العصر الحديث أم أنه يمكنه اعادة تفسيرها على طريقته، أو حتى التخلي عنها ؟

٣ ـ الحركة الصهيونية بين اليهود (أواخر القرن التاسع عشر): وعلى الرغم من أن الصهيونية، في جوهرها، حركة دينية، الّا ان ظهورها قد أثر، تأثيراً عميقاً، في اليهودية والفكر الديني اليهودي، الى درجة ان اليهودية الارثوذكسية، التي بدأت بمعاداة الصهيونية، أصبحت هي العمود الفقري للاستيطان الصهيوني. والصهيونية استفادت من الاتجاه القومي داخل اليهودية، وحوّلت كثيراً من المفاهيم الدينية الروحية الى مفاهيم قومية فيزيقية، بحيث تحولت العودة، في نهاية الايام، الى الاستيطان الصهيوني هذه الايام؛ كما تمّت علمنة المفاهيم الدينية، بحيث أصبح هناك ما يشبه التماثل البنيوي بين اليهودية الحاخامية والصهيونية. كما ان كثيراً من علماء الدين اليهودي يتحدثون عن دولة اسرائيل كما لو كان لها معنى أخروي ميتافيزيقي، وأنها علامة على تدخل الله في التاريخ لينقذ شعبه ويأتي له بالخلاص، تماماً كما فعل في واقعة الخروج. وقد قرن أحد المفكرين الدينيين اليهود بين الرب والدولة، الى درجة أنه صرح، العام ١٩٦٧، بأن الرب ذاته كان مهدداً في هذه الحرب ! وقد ظهر الى جوار الصهيونية ما يسمى باليهودية الاثنية التي اعادت تعريف اليهودية، بحيث افرغتها من محتواها الديني والاخلاقي، أو جعلته في المرتبة الثانية، وأكدت محتواها الاثني، بحيث أصبح من الممكن لليهودي الذي لا يؤمن بالله، ولا يمارس التحريمات الخاصة بالطعام، ان يصر على تسمية نفسه «يهودي». واليهودية الاثنية لا تختلف عن الصهيونية الّا في انها تسمح بممارسة هذا الاحساس الاثني خارج فلسطين ـ أي ان اليهودية الاثنية هي، في جوهرها، صهيونية الجماعات ـ أي تحقق الذات الاثنية خارج فلسطين. لكن، على الرغم من انتصار الصهيونية